

دنيا الأدب

بقلم محمد قدرى لطفى

ليسانسيه فى الآداب

وجمال التكوين ، وتراه يوفى الزهرة حقها من الإعجاب والاطراء ،
ويبادلها حسنا بحسن ومتعة بمتعة . والمرء فى دنياه يتكلم فيما يشاء
بما يشاء ، وهو فى دنياه أدبه لا يتكلم إلا فيما حرك شعوره وهز عاطفته ،
فاذا فعل فبا للفظ المختار وباللغة المنتقى ، والمرء فى دنياه حين يتكلم
لا يكاد يقع قوله إلا من نفوس قليلة مها تكثر فلن تخرج عن
الحصر ، ولن تفوق العد ، وهو فى دنياه الأدب يتكلم فيلتقى بعواطف
الجوع ويضرب على أوتار القلوب ، وقد ينتقل قوله من لغة إلى لغة
وينتشر حديثه من لسان إلى لسان ، فيفنى هو وما قال باق على الدهر
خالد على الأيام ، وقد يظل المرء فى دنياه من غير صاحب ، وقوله فى
دنياه الأدب يلقي الصحاب فى كل مكان ، ويتخذ سميراً فى الجماعات
أو خليلاً فى الوحشة ، أو مؤنساً فى الوحدة ، يصادف من كل قلب
مبتغاه ، ويلقى عند كل امرئ قبولاً ، ويقع من كل نفس موقع
البرء من السقام

ليست هى دنيانا ، فما ينبى أن يكون هذا الأدب منها ، وليست
هى عالنا ، فما يجب لهذا الأدب أن يدخل فيه ، وانما هى طبيعة
الأدب تأبى أن يكون من دنيانا فى شىء ، فان أكثر دنيانا قبيح ،
وأكثر الأدب جميل ، وعماد دنيانا الحقيقة وعماد دنيا الأدب
الخيال ، والعقل فى دنيانا عنصرها الأكبر ، والعاطفة فى دنيا الأدب
عنصرها الأول ، والمرء فى دنياه يرى بعين رأسه ، ويرى فى دنياه
الأدب بعين قلبه ، وهو فى الدنيا مادي ، قد يمسك بالزهرة فيقطعها
فى غير رحمة إلتماس غيرها ، فيظل به حتى ينفد ، ثم يلقىها كأن لم
تبهره لحظة بجمالها ، ولم تنعشه برهة بأريجها ، وهو فى دنياه الأدب
روحي ، إذا أمسك بالزهرة فانما يمسها فى رفق ، وإذا التمس شذاها
فانما يفعل فى حذر واحتياط ، حتى إذا أعجبه غيرها لم يقتطفها
ولم يلقها ، وانما تراه يستخلص من غيرها الطيب بيتاً ينظمه ، أو
قصيدة ينشئها ، أو سطوراً يكتبها ، وتراه يغوص فى قرار المعانى
ويصعد إلى عنان اللغة ليسجل للخالق حسن الصنعة ودقة الخلق

ودنيانا محدودة وان ترامت حدودها ، مقيدة وان اتسعت
قيودها ، ودنيا الأدب لا تعرف الحد ولا تعرف القيد ، فالأدب يعيش
فى كل مكان ويحيا فى كل زمان ، يتناول كل شىء ، وقد يتخذ
لنفسه موضوعاً من لاشىء ، وليس توخى الجمال فيه ولا التزام أوجه
الحسن فى فنونه قيماً له ولا عيباً فى دنياه ، وانما هو الجمال طبيعته
وعنصره ، ما أن يفقده حتى يخرج من دائرة الأدب إلى دائرة
الكلام البحت والحديث الصرف . فالشعر إن فقد الجمال كان نظماً
خسب ، لاهو بالشعر ولا هو بالنثر ، قد وقف بين الصناعتين
لا يدري أهو من هذه أم هو من تلك ، والنثر إن فقد طلاء البلاغة
لم يكن من الفن فى شىء ، وكما تغلو الأشياء فى دنيانا وترخص ،
يغلو الأدب فى دنياه ، وتنحط قيمته تبعاً لمقدار الجمال فيه ، وأكثر
موازين دنيانا الكم ، وميزان دنيا الأدب الكيف .

على أن دنيا الأدب وان كانت جمالاً كلها فليست نعيماً كلها ،
وان كانت إعجاباً كلها فليست تخلو من العجب ، فقد أقام البؤس
فيها إلى جانب الجمال ، وسكنت الفاقة فيها إلى جانب الحسن ، وكثيراً
ما تحالفا على غير فكاك ، وتوافقا على غير خلاف ، شأن دنيا
الأدب فى ذلك شأن دنيانا ، فانك لتجد فيها الوجه الجميل فى المسكن
الذليل ، وغالباً ما يلقاك الشرف الرفيع فى الكوخ الحقير ،
وكثيراً ما تحل السعادة حيث ترق الحال ، ويقم الهناء حيث
يحل الفقر .

وكل الأشياء التى نحميا فيها تحيا فينا .

هى حية فى نفسى . . . مدينتى الصغيرة

هى مبعث وحشتى فى هذه الحياة الغريبة .

هى التى تجذبني اليها وتخيّم فوق رأسي فى غربتي كالسحابة السوداء ،
وهى تجمع ذكرياتي التى تصطف للقائى فى كل زاوية من زواياها ،
وفى كل ثنية من ثناياها

سأحاول أن أنسى . . . وسيساعدنى الزمان على النسيان ،
وأية ذكرى وأية خطرة تستطيع أن تثبت أمام سلطان الأزمان ؟
لكن شاطئك الأزرق الجميل . . شاطئك الذى امتزج دمه بدمى ،
وخفق قلبه فى قلبي ، أتى لى أن أنساه ؟ . .

هو كالقطرة التى تنعكس فيها كل السموات والنجوم . . .

ألا هنيئاً للجالس على شاطئك الأزرق فانه مالك كل شىء ما

مهيل هنرارى

صيداء

٨- أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ مصطفى السفطى

مصطفى السفطى بن مصطفى الفاكهانى السفطى بن على السفطى ابن احمد شلبى ، نسبة الى سبط القطايا ، ولد بمصر القاهرة حوالى سنة ١٢٥٠ ، وأرسل الى المكتب فى السابعة من سنه ، ثم تنقل من مكتب لآخر حتى حفظ القرآن الكريم ، واشتغل بتجويده فى الأزهر ، ثم شرع فى طلب العلم على شيوخ عصره ، فقرأ الكفراوى على أحد العلماء المبتدئين فى التدريس ، فكان يحفظ العبارات ولا يفقه لها معنى ، ولما أعني عليه أمره ، وتعذر عليه إعراب أمثلة من غير هذا الكتاب أعاد قراءته ، ولكنه لم يستفد شيئاً . وكان بجوار داره دار السيد احمد البقل أحد المدرسين بالمدارس ، وله ولد أراد أن يقرأ القرآن مع المترجم ، فشكا المترجم له من تعسر النحو عليه ، فأشار عليه بشراء متن الآجرومية وأمره بحفظه ، ثم شرع فى إعرابه له على الطريقة الأزهرية ، فلم يستفد شيئاً أيضاً ؛ وشكا من ذلك للشيخ محمد الدمنهورى ، فأمره بترك طلب النحو كلية حتى ينسى ما علق بذهنه منه ، ففعل واقتصر على الفقه ، فحضر ابن قاسم على الشيخ البيجورى ، وكان يفهمه بخلاف النحو ، فمالت نفسه اليه فحضره مرة ثانية على الشيخ فتتوح البيجورى ، ثم مرة ثالثة على الشيخ عبد الرحمن القباني أحد تلاميذ الشيخ فتوح المذكور ، وكان يطالعه لآخوانه المبتدئين .

ثم قرأ الكتب المتداولة بالأزهر ، ولم تفتقر نفسه عن طلب النحو على ما لاقاه فيه من الصعوبة ، فصار يتردد على الشيخ محمد الدمنهورى ومعه متن الآجرومية فقط ، وصار الشيخ يقول له اقرأ هذه الجملة ثم تفهم معناها بنفسك ولا تنظر لأقوال الشراح ، فيفعل ، فتارة كان يخطئ وتارة يصيب ، وسهل عليه فهم هذا العلم بهذه الطريقة ؛ وكان أحد أصحابه مبتلى بمثل ما ابتلى به ،

ودنيا الأدب لا آخرة بعدها ، ولا إمهال فيها ، وإنما يلقى صاحب الأدب فيها حسابه سريعاً فيجزى به أو يعاقب عليه ، فما هو إلا أن يظهر أهل دنياه على مآتى من عمل فنى حتى يتولاه النقاد من قومه بالحساب ، يحاسبونه حساباً فيه يسر حيناً ، وكله عسر أحياناً ، وحساب أهل الأدب على عسره ليس يخلو من عجب ، فلا الخير فيه خير بالاجماع ، ولا الشر فيه شر بالاجماع ، وإنما الخير عند زيد شر لدى عمرو ، والشر يراه هذا خيراً ، والخير فى عرف ذاك شر ، قد تفاوتت الموازين ، وتباينت المكييل ، وليت شعري متى يشاء ملائكة النقد أن يكون لدنيا الأدب ميزان يزن به الجميع ، وكيل يكيل به الجميع . فقد خلق الناقدون وكل معه ميزانه ، وكل فى يده كيلاه ، فاختلفت أحكامهم على العمل الفنى الواحد ، وتعددت أقوالهم فى انتاج الأديب الواحد ، ولعل دنيا الأدب لم تظلم صاحب الأدب حين أباحت له حرية الدفاع عن آثاره الأدبية والرد على محاسبيه ، والتماس الحق لجانبه . ومن غريب دنيا الأدب أنها تبيع حساب المرء حياً وميتاً ، فيتناول النقاد سيرته بالتحليل ويتولون حياته بالتمحيص ، ويظهرون الناس على أقواله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وانك لتجد الشاعر أو الناثر قد فارق دنياه منذ قرون ، وأسدت السنون عليه وعلى قومه حجاباً من النسيان ، ومع ذلك فهو فى دنيا الأدب حي مذكور لا يزال النقاد يحاسبونه على شعر قرضه ، أو ثثر كتبه ، أو قصة حاك أطرافها ، ولا يكتفون من ذلك بالمئات من المرات .

ومما يحاسب المرء عليه فى دنيا الأدب عدا الأداة فى الفن أو التقصير فيه ما قد يرتكبه من سرقة لثمار العقول أو نتاج العواطف فينتحل لنفسه ما ليس له . غير أن الحساب على هذا الذنب ليس كما ينبغي له من العسر والشدة ، وليس كما يتفق مع خطره من القسوة والقوة ، وإنما هو مباح أو كالمباح حتى خشيت دنيانا هذه الأباحة من دنيا الأدب ، وخافت على أهلها من دعاة الأدب أن يبيحوا فيها ما ليس الى إباحته من سبيل ، فأفسحت صدرها لمن يلجأ اليها من دنيا الأدب ، شاكياً ما استحله الغير من ثمرات قريحته ووحى خاطره فحتمه بتشريعها ، وأحاطته بسياج من قانونها .

وفى دنيا الأدب من المفارقات العجيبة والسير الطريفة ما لا تتسع له الصفائف ، فكيف يقوى كاتب على دنيا بأكلها يحصى ما بها ويعدد ما فيها ؟

محمد قدرى لطفى